

التحرير والتنوير

والمسؤول : الذي يسأله مستحقه ويطالب به أي حقا للمتقين أن يترقبوا حصوله كأنه أجر لهم عن عمل . وهذا مسوق مساق المبالغة في تحقيق الوعد والكرم كما يشكر شاكرا على إحسان فتقول : ما أتيت إلا واجبا إذ لا يتبادر هنا غير هذا المعنى إذ لا معنى للجواب على [] تعالى سوى أنه تفضل وتعهده به ولا يختلف في هذا أهل الملة وإنما اختلفوا في جواز إخلاف الوعد .

(ويوم نحشهم وما يعبدون من دون [] فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل [17] قالوا سبحنك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا [18]) عطف (ويوم نحشهم) إما على جملة (قل أذلك خير) إن كان المراد : قل للمشركين أو عطف على جملة (واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) على جواز أن المراد : قل للمؤمنين .

وعلى كلا الوجهين فانتصاب (يوم نحشهم) على المفعولية لفعل محذوف معلوم في سياق أمثاله تقديره : اذكر ذلك اليوم لأنه لما توعدهم بالسعير وما يلاقون من هولها بين لهم حال ما قبل ذلك وهو حالهم في الحشر مع أصنامهم . وهذا مظهر من مظاهر الهول لهم في المحشر إذ يشاهدون خيبة آمالهم في آلهتهم إذ يرون حقارتها بين يدي [] وتبرؤها من عبادها وشهادتها عليهم بكفرانهم نعمة [] وإعراضهم عن القرآن وإذ يسمعون تكذيب من عبدوهم من العقلاء من الملائكة وعيسى عليهم السلام والجن ونسبوا إليهم أنهم أمروهم بالضلالات .

وعموم الموصول من قوله (وما يعبدون) شامل لأصناف المعبودات التي عبدوها ولذلك أوثرت (ما) الموصولة لأنها تصدق على العقلاء وغيرهم . على أن التغليب هنا لغير العقلاء . والخطاب في (أأنتم أضللتم) للعقلاء بقرينة توجيه الخطاب .

فجملة (قالوا سبحانك) جواب عن سؤال [] إياهم : (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) فهو استئناف ابتدائي ولا يتعلق به (يوم نحشهم) .

وقرأ الجمهور (نحشهم) بالنون و (يقول) بالياء ففيه التفتات من التكلم إلى الغيبة . وقرأه ابن كثير وأبو جعفر ويعقوب (يحشهم - ويقول) كليهما بالياء . وقرأ ابن عامر (نحشهم - ونقول) كليهما بالنون .

والاستفهام تقرير للاستنطاق والاستشهاد . والمعنى : أأنتم أضللتموهم أم ضلوا من تلقاء أنفسهم دون تضليل منكم . ففي الكلام حذف دل عليه المذكور .

وأخبر بفعل (أضللتهم) عن ضمير المخاطبين المنفصل وبفعل (ضلوا) عن ضمير الغائبين المنفصل ليفيد تقديم المسند إليهما عل الخبرين الفعلين تقوي الحكم المقرر به لإشعارهم بأنهم لا مناص لهم من الإقرار بأحد الأمرين وأن أحدهم محقق الوقوع لا محالة . فالمقصود بالتقوية هو معادل همزة الاستفهام وهو (أم هم ضلوا السبيل) .
والمجيبون هم العقلاء من المعبودين الملائكة وعيسى عليهم السلام .
وقولهم (سبحانك) كلمة تنزيه كني بها عن التعجب من قول فطيع كقول الأعشى : .
قد قلت لما جاءني فخره ... سبحان من علقمة الفاخر E A وتقدم في سورة النور (سبحانك هذا بهتان عظيم) . واعلم أن ظاهر ضمير (نحشرهم) أن يعود على المشركين الذين قرعتهم الآية بالوعيد وهم الذين قالوا (ما لهذا الرسول يأكل الطعام) إلى قوله (مسحورا) ؛
لكن ما يقتضيه وصفهم ب (الظالمون) والإخبار عنهم بأنهم كذبوا بالساعة وما يقتضيه ظاهر الموصول في قوله (لمن كذب بالساعة) من شمول كل من تحقق فيه مضمون الصلة كل ذلك يقتضي أن يكون ضمير (نحشرهم) عائدا إلى (من كذب بالساعة) فيشمل المشركين الموجودين في وقت نزول الآية ومن انقرض منهم بعد بلوغ الدعوة المحمدية ومن سيأتي بعدهم من المشركين .
ووصف العباد هنا تسجيل على المشركين بالعبودية وتعريض بكفرانهم حقها .
والإشارة إليهم لتمييزهم من بين بقية العباد .
وهذا أصل في أداء الشهادة على عين المشهود عليه لدى القاضي .
وإسناد القول إلى ما يعبدون من دون الله يقتضي أن الله يجعل في الأصنام نطقا يسمعه عبدها أما غير الأصنام من عبد من العقلاء فالقول فيهم ظاهر